مجلة الرائد

العدد : ١٨٢ الموافق في ربيع أول ١٤١٧ هجري ٨ / ١٩٩٦ ميلادي

عنوان المقال : ماذا بعد اجتماعات القادة العرب ؟!	بقلم : متولي موسى

توطئة :

بعد فوز " نتنياهو " برئاسة حكومة الكيان الصهيوني اجتمع أكثر القادة العرب ، اجتماعات مصغرة وأخرى موسعة ، كان من أكبرها اجتماع القمة العربية في القاهرة ، والمتتبع لحركة القادة العرب وما صدر عنها من بيانات معلنة يسجل ما يلي :

١- هناك نقلة كبيرة يراد إحداثها في العلاقات مع الكيان الصهيوني ، وهذه النقلة يراد لها إخراجاً بحيث لا تتذمر الشعوب العربية - والتي أصبح لديها بعض الوعي لما يدور على الساحة - وهذا الحدث الكبير لا بد له من إخراج يقدمه ، كما لو كان ولادة عسيرة ، حتى إذا نزل المولود مشوهاً تشويهاً كبيراً ، فإن الحضور يحمدون الله تعالى على نزوله - حتى ولو كان سقط المتاع - فسوف تقبل الأنظمة العربية بشروط " نتنياهو " ، ويُسوغ ذلك بالقول : حاولنا واتخذنا كل الأسباب ولكن لم نتوصل إلا إلى هذه النتيجة !! وعلينا أن نأخذ المتوفر اليوم حتى لا نبكي عليه غداً... كما صنعنا مراراً.

وهذا الذي قاله " نتنياهو " نفسه كما نقلته عنه مجلة المجلة في عددها رقم ٨٥٧ ص ١٧ حيث قال : « ما يجري الآن هو أن العرب يتكيفون مع الحكومة الإسرائيلية الجديدة. فالفلسطينيون والسوريون وغيرهم يتكيفون مع الواقع الجديد ، وسيضطرون إلى البدء في التساهل من أجل تغيير مواقفهم ».

٢- التأكيد في كل هذه اللقاءات على ضرورة " محاربة الإرهاب " ، والمقصود بذلك الضغط على شباب الصحوة الإسلامية والحركات التي تطالب أو تقوم بمقاومة الاحتلال الصهيوني للأراضي والمقدسات. فعبارة " الإرهاب " عندما تطلق في الصحف العالمية والعربية يقصد بها " الإسلام " ، فإرهاب الصهاينة واليهود يطلق عليه " تشدد " وإرهاب النصارى يطلق عليه " طائفية " أو " تطرف " ، وأعمال الإرهاب العالمية كما حدث في " أوكلاهوماستي " و " مترو الأنفاق في اليابان" يطلق عليها " عنف "... !!

٣- هناك اهنمام بالقضايا المحلية في المنطقة ، وخاصة قضايا النزاعات على الحدود ، وكل ما اتخذ حيالها من إجراءات تعمل على بقاء الأنظمة القائمة دون إخلال بالمصالح الأجنبية والمحلية ، وبما بضمن استمرار المنطقة ضمن المخطط الموضوع لقيام منطقة " شرق أوسط جديد " الهيمنة الاقتصادية فيه لأمريكا و الكيان الصهيوني ، أو شرق أوسط جديد يُسمح فيه لبعض دول حوض البحر الأبيض

بارتباط مصالح متفق عليها مع الغرب ، مع بقاء السيطرة على الجزء الأكبر لأمريكا و الكيان الصهيوني بوصفه رأس الحربة في المشروعين... !!

أولاً : موقف أمريكا وأوروبا في كلمات

١- تمكنت أمريكا من توجيه " مجلس الأمن " وحصلت على تخويل للقيام بعدد من الأعمال العسكرية والاقتصادية ذات التأثير البالغ في المنطقة منها :

i- حرب " تحرير الكويت " والتي مكنت أمريكا من السيطرة على منطقة الخليج العربي ، وقسمت البلاد العربية إلى بلاد " مع " وبلاد " ضد " ، وحاصرت العراق حتى أشرف على الهلاك... !!

ii- محاصرة ليبيا اقتصادياً والتهديد بتوجيه ضربة عسكرية إذا لم يخضع خضوعاً كاملاً للإرادة الأمريكية.

iii-وضع سوريا والسودان على قائمة الدول الإرهابية والمساعدة لمنظمات إرهابية ، والضغط على كل منها بوسائل متعددة لتنفيذ كل ما تريده أمريكا بالكامل.

iv-الضغط على عدد من البلاد الفقيرة بمنع المساعدات الاقتصادية المباشرة ، أو التأثير على المؤسسات العالمية ذات النفوذ الاقتصادي ، وخاصة بلد مثل مصر التي تملك قدرة ما على التأثير في مجريات بعض الأمور في المنطقة ، ومن هذه البلاد المضغوط عليها بالإضافة إلى مصر : الأردن والمغرب وتونس...

٢- في المقابل تقدم أمريكا كل الدعم المادي والعسكري والسياسي للكيان الصهيوني ، فهي لا تسمح حتى بتوجيه أي اتهام له ، أو لوم ، حتى لو قام بأفظع أعمال الإرهاب والإجرام ، والتغطية المفضوحة للكيان الصهيوني في مجال الأسلحة النووية ، حتى نشرت الصحف الصهيونية أخبار تسرب الإشعاعات الذرية من حاويات النفايات الذرية بعد أن تآكلت لحاماتها !!!

٣- اتسم الموقف الأوروبي بالضعف خلال الفترة التي تلت انتهاء الحرب الباردة ، ولكن عندما اختلفت المصالح الاقتصادية وظهر النفوذ الأمريكي الطاغي ، وبعد تداول الأمر في مؤتمر الشراكة الأوروبية الأوسطية في برشلونة العام الماضي... تحاول فرنسا حالياً المطالبة بدور لها ولأوروبا ، وإن

كانت أمريكا وعناصر مسؤولة في الكيان الصهيوني أظهرت تحفظاً على أن يكون لأوروبا دور في العملية التفاوضية

ثانياً : تحليل مواقف الصهاينة والقادة العرب

١- بينما يصدر الصهاينة عن قيام " دولة إسرائيل الكبرى " التي رُفع شعارها على الكنيست بعنوان : " دولتك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل " ، والذي ترجموه رمزاً على العلم الذي اتخذوه شعاراً لهم ؛ فالنجمة السداسية محصورة بين خطين لونهما أزرق ، يعنون بهما : نهر النيل ونهر الفرات... وجميع القادة الصهاينة كانوا يتحدثون عن أمن الشعب اليهودي والعمل على تجنيب اليهود ما حدث لهم على أيدي النازيين... ومن آخر الشعارات التي رفعت هو شعار " السلام " الذي يحقق الأمن لليهود والصهاينة...

ولكن التعبير عن هذا " السلام " يختلف من مسؤول لآخر ؛ فمثلاً بيريز يرى : أن السلام يتحقق إذا تم تحويل صلاحيات الإدارة البلدية وقمع الانتفاضة إلى الشرطة الفلسطينية ، وأن التنازل عن جزء من الجولان مع تكليف الحكومة السورية بالقضاء على منظمات وحركات مقاومة الاحتلال ؛ أما نتنياهو فهو يرى : أن العرب لا يصلح معهم إلا سلام الردع ، أي عندما يشعرون بأن الكيان الصهيوني قادر على ضربهم في أي وقت وفي أي مكان ، وعندما يشعرون بالهلع والذعر ، فإنهم يقبلون باحتفاظ اليهود بالأرض المحتلة ويطلبون عدم الاعتداء عليهم : أي الأمن المستقبلي...

حقيقة الأمر : أن كلا الرأيين يضمن الأمن للكيان الصهيوني وإن بدا الرأي الأول أنه متساهل ، والرأي الآخر متشدد وإن اعتمد كلاهما في تنفيذ رأيه على آلة الحرب والعُدة العسكرية... !!

٢- أما العرب فلا ثوابت لهم يتمسكون بها في هزيمتهم ويكفي هنا الإشارة إلى ما لفت النظر إليه أحد الذين كانوا في موقع القرار « محمد حسنين هيكل » وهو يشير إلى واقعة محددة ، فيقول : « مثلاً إن المنظمة قبلت بما لم يستطع الأردن أن يقبل به خلال سبعة أعوام من المفاوضات السرية ، امتدت من سنة ١٩٦٧ م عقب احتلال الضفة والقطاع ، إلى سنة ١٩٧٤ م حين اعترفت الدول العربية كلها في مؤتمر الرباط بأن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. وربما تجاوزت فذكرت أن الملك حسين قال لي في أثناء لقاء سابق بيننا عقب مؤتمر الرباط : « إذا كان الإخوة من

الزعماء العرب يتصورون أنني تنازلت عن الحق الشرعي للأردن في المسؤولية عن الضفة والقدس أمام منظمة التحرير ، فهم على وهم. إن الذي دعاني إلى قبول إلحاحهم عليّ بالتنازل هو عناد الطرف الإسرائيلي. فخلال سبع سنوات من الاتصال عن طريق الولايات المتحدة وغيرها كان كل ما عرضوه على الأردن أن يكون المدرس والخباز والكناس والجندرمة (البوليس) في الضفة الغربية والقدس. ولم أجد أمامي أكثر. وإذا كان غيري يستطيع أن يجيء بهذا الأكثر فليتفضل... ».

لعلي هنا أيضاً أجازف - يقول هيكل - وأضيف شيئاً آخر ، وهو اعتقادي أن الأردن هو الطرف الذي أقنع إسرائيل - مبكراً بالتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية »[1] انتهى الاقتباس

ويمكن أن نوجز هنا أهم ملامح الموقف العربي فيما يلي :

أ- الجلوس على مائدة مفاوضات عربية - عربية واتخاذ قرار ليس معناه أن هذا القرار سيجد طريقه إلى التنفيذ ، وإنما ينفذ من هذه القرارات ما يحقق مصلحة للطرف المنفذ ، وإذا ظهر تقارب بين بعض الأطراف فهو تقارب " تكتيكي " ، ليس هناك أي ضمان لاستمراره في المستقبل ، وخاصة إذا افترقت المصالح أو اشتدت ضغوط جهة متنفذة على أحد الأطراف...

ب - الأنظمة العربية القائمة عاجزة عن إعادة بناء موقف عربي ، يصدر عن ثوابت الأمة ومنطلقاتها ، فقد تشرذم العالم العربي وفقد آلية التنسيق ، ويختفي فيه البعد العربي والإسلامي على الزمن ، ويكفي أن يقرأ أي عاقل تصريح وزير الدولة العماني للشؤون الخارجية يوسف بن علوي الذي يقول فيه : « التطبيع مع إسرائيل يُقوي موقف العرب التفاوضي »[2]

٣- هناك تساؤل مطروح : ما هو هذا " السلام " المطلوب ؟ فقد أكد القادة العرب في جميع لقاءاتهم أنهم قبلوا خيار " السلام " ولا بديل عن هذا الخيار... والكيان الصهيوني يقدم لهم " السلام " الذي جاء خبره في سفر يوشع الذي يقول :

« ثم اجتاز يوشع وكل إسرائيل معه من تخيبش إلى عجلون ، فنزلوا عليها وحاربوها وأخذوها في ذلك اليوم وضربوها بحد السيف ، وحرم كلّ نفس بها في ذلك اليوم حسب ما فُعل بلخَبش. ثم صعد يوشع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون ، وحاربوها وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها ، لم يبق شارداً ، حسب كل ما فعل بعجلون ، فحرمها وكل نفس بها...».

إلى أن يقول : « وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة لأن الرب إله إسرائيل حارب عن إسرائيل...»[3]

أليس هذا السلام الذي نفذه مناحم بيجن - أول من عقد معاهدة سلام مع البلاد العربية - عندما قضى على سكان دير ياسين في ١٩٤٨/٤/٩م ، وقتل الرجال والنساء والأطفال البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة ، قتلهم هو وعصابة " الأرجون " ليفرّ العرب العزّل مذعورين كما سجل هو بنفسه ! [مناحيم بيجن ، العصيان ، تاريخ الأرجون ، سنة ١٩٧٨م ، ص ٢٠٠].

وأليس هذا " السلام " الذي يسعى إليه العرب هو الذي قال عنه موشي ديان - قائد عدوان سنة ١٩٦٧م - : « إذا كنا نملك التوراة ، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة ، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي التوراتية ! [جيروزاليم بوسق ١٩٦٧/٨/١٠م] »

وأليس هو " السلام " الذي صاغه يورام بن بورات بأوضح عبارة في الجريدة الصهيونية المعروفة اديعوت احرونوت في ١٩٧٢/٧/١٤م بقوله : « لا صهيونية واستعمار للدولة اليهودية بدون إبعاد العرب وطردهم والاستيلاء على أرضهم»؟

نعم ، أيها القادة العرب هذا هو " السلام " الذي يسعى إليه قادة الصهاينة ، ومنهم بيريز الذي قال عنه الملك الحسن : « لن أفتقد أبداً بيريز ، فهو ما زال حياً وسيظل دائماً صديقي ، لكنني أخشى أن يفقد السلام بيريز »[٤] ، نعم بيريز الذي كان آخر عمل في حياته السياسية ضرب الجنوب اللبناني ، وقتل المدنيين من الشيوخ والنساء والأطفال ، حتى الذين احتموا بعلم الأمم المتحدة في قانا ، وأثبت التحقيق الذي أجرته الأمم المتحدة أنه كان متعمداً ومع سبق الإصرار !!

ثالثاً : توجهٌ وتقرير حقائق

إنني إذ أتوجه إلى الشعوب الإسلامية وشباب الصحوة خاصة بضرورة إحياء الوعي الذاتي للأمة ، أقرر بأن الأمة الإسلامية لن تموت مهما حاولت قوى البغي والعدوان ، ومهما حاولت الصهيونية العالمية والاستعمار الجديد بكل صوره وأشكاله... وإذا كانت الأمة في هذه الفترة من التاريخ تشهد تردياً وسقوطاً... فإن أهل الحق يؤمنون بظهور الفجر والنور مهما طال الليل واشتدت الظلمة... فلا بد للصبح أن يتنفس بعد عسعسة الليل... وذلك إذا أدركنا ما يلي :

١- إن صاحب الحق الصادق لا يعترف للعدو المغتصب بما اغتصب ، ويعتقد أن كل اعتراف للمغتصب بشرعية ما اغتصبه اعتراف باطل ، وكل ما يترتب على الاتفاق الباطل فهو باطل ، فتطبيع

العلاقات مع اليهود والصهاينة لا يجوز ، وعلى الشعوب المؤمنة بالله تعالى وما نزل على محمد ﷺ ، أن ترفض التطبيع وتدعو إلى مقاطعة العدو ، والعمل على مقاومة المغتصب بكل وسائل المقاومة المشروعة ، فأخطر ما يدبر للبلاد العربية هو إتمام عمليات التطبيع وقيام علاقات ثقافية واقتصادية وسياحية بدعوى إنعاش الحالة الاقتصادية ، ولتأخذ الشعوب العبرة مما حدث مع مصر والأردن ، وعليها بالتجرد في دراسة التجربة واستخلاص العبر والدروس ، فالحق أنه لم يتحقق انتعاش اقتصادي ، وإنما تحقق ارتكاس وانتكاس أخلاقي واجتماعي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢- واغتصاب الحقوق لا يحول المغتصب إلى صاحب حق بمرور الزمن ، أو يعطيه الحق في فرض الأمر الواقع ، كما أن الحرام لا يتحول إلى حلال بمرور الوقت ، وما قام به اليهود والصهاينة في فلسطين باطل بكل الموازين والمقاييس مهما طال ليل المحن ، والحق لا يُزهق إن كان أصحابه لا يملكون القوة الآن ، فليس معنى ذلك أنهم لن يمتلكوا القوة مستقبلاً ، وسيبقى الحق مغصوباً مسلوباً إلى أن يتمكن أهله في يوم من الأيام من امتلاك القوة ، وعندها سيقول أهل الحق ما علمهم الله تعالى : { **وقلْ جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنّ الباطلَ كان زهوقاً** } [الإسراء : ٨١] ، وسيتغير الحال { **ويومئذٍ يفرحُ المؤمنونَ ❊ بنصرِ الله ينصرُ من يشاءُ وهو العزيزُ الرحيم ❊ وعدَ الله لا يخلفُ الله وعدَه ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون ❊ يعلمون ظاهراً من الحياةِ الدنيا وهم عن الآخرةِ هم غافلون** } [الروم : ٤-٧]

٣- من الثوابت التي يؤمن بها كل مسلم صادق أن بقاء اليهود والصهاينة مسيطرين على فلسطين لن يدوم ، فهم الذين قال الله تعالى في حقهم : { **وإذْ تأذّنَ ربُك ليبعَثنَّ عليهم إلى يومِ القيامةِ مَن يَسُومُهم سوءَ العذابِ إن ربك لسريعُ العقاب وإنه لغفورٌ رحيم** } [الأعراف : ١٦٧] ، وذكرنا سبحانه وتعالى بالسُنة الماضية في حقهم فقال عز وجل : { **وقضينا إلى بني إسرائيلَ في الكتابِ لَتُفسِدنَّ في الأرضِ مرتينِ ولَتَعْلُنَّ علواً كبيراً ❊ فإذا جاءَ وَعدُ أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ❊ ثمّ رددنا لكم الكرةَ عليهم وأمددناكم بأموالٍ وبنينَ وجعلناكم أكثرَ نفيراً ❊ إنْ أحسنتم أحسنتم لأنفسِكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعدُ الآخرةِ لِيَسُوؤوا وجوهَكم ولِيدخلوا المسجدَ كما دخلوه أولَ مرة ولِيُتبِّروا ما علو تتبيراً ❊ عسى ربُّكم أن يرحَمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنمَ للكافرين حصيراً** } [الإسراء : ٤-٨].

٤- وعليه فلا بد من وقف مسيرة الاستسلام ودعم مقاومة الاحتلال بكل السبل المشروعة ، وإعطاء الشعوب العربية والإسلامية حريتها لتقرير مصيرها ومواجهة عدوها ، والأخذ بالأسباب

والإعداد للمعركة الفاصلة مع اليهود ، فبرنامج الأحزاب الدينية اليهودية لا يمكن مواجهته إلا بالمقاومة والجهاد كما فعل الشعب الفلسطيني أيام الانتفاضة ، وكما فعل الشعب اللبناني بمقاومة اليهود ، والله أسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

الهوامش :

(١) محمد حسنين هيكل ، السلام المحاصر بين حقائق اللحظة وحقائق التاريخ ، أوراق مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ورقة رقم ٢٥ ، ص ١٧ ج ١٧.

(٢) مجلة المجلة العدد رقم ٨٥٦ بتاريخ ٧-١٣/٧/١٩٩٦م ص ١٧.

(٣) الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، سفر يوشع ، الإصحاح العاشر ، من ٣٤ إلى ٤٣ ، ص ٣٥٤ و ٣٥٥.

(٤) مجلة المجلة العدد ٨٥٤ بتاريخ ٢٣-٢٦/٦/١٩٩٦م ص ١٧.